

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٩٢ : خ ١- ذكر الله تعالى ١ : الذكر من القرآن الكريم ، خ ٢- انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٨-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ، ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين . اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الاستجابة لأمر الله من مقتضيات الإيمان :

أيها الأخوة الكرام ؛ مع القرآن الكريم الله جلّ جلاله يقول :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

[سورة الأنعام : ١]

الله عز وجل له الملك وله الحمد ، هناك من يملك ولا يحمد ، وهناك من يحمد ولا يملك ، ولكن الله جلّ جلاله له الملك وله الحمد .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

[سورة الأنعام : ١]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾

[سورة الكهف : ١]

كأن الكون في كفة وكتاب الله في كفة ، الله عز وجل خلق الكون ونوره بالقرآن الكريم ، إنه نور من الله عز وجل .

أيها الأخوة ؛ فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه ، القرآن الكريم هو منهجنا ، هو دستورنا ، هو كتابنا المقرر في امتحاننا ، من آيات القرآن الكريم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

أيها الأخوة ؛ لا أدري كيف فهم المسلمون في عصورهم المتأخرة أن الفرائض صوم وصلاة وحج وزكاة ليس غير ، بينما كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك ، أنت حينما تقرأ كتاب الله عز وجل وتقرأ قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

أي يا من آمنت بالله ، يا من آمنت بوجوده ، يا من آمنت بوحدانيته ، يا من آمنت بكماله ، يا من آمنت بعلمه ، يا من آمنت بقدرته ، يا من آمنت بكماله ، يا من آمنت بخبرته ، يا من آمنت ببقوته ، يا من آمنت بغناه ، هذا عقد إيماني بينك وبين الله :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

من مقتضيات إيمانك أن تستجيب لأمر ربك .

كل أمر في القرآن يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك :

أيها الأخوة ؛ أول حقيقة في هذه الخطبة أن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك :

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾

[سورة الكهف : ٢٩]

تهديد ، لا يعقل أن نؤمر بالكفر .

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾

[سورة البقرة : ١٨٧]

أمر بإباحة .

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾

[سورة النور : ٣٢]

أمر نذب .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

[سورة البقرة : ٤٣]

أمر وجوب ، كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك ، أنت حينما تقرأ القرآن الكريم يجب أن تنتبه إلى الأوامر والنواهي ، أنت معني بها ، لأنك آمنت بالله ، آمنت بأسمائه الحسنی وصفاته الفضلى ، فالله عز وجل يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

قال علماء التفسير ؛ الأمر هنا ليس موجهاً إلى مطلق الذكر ، بل إلى كثرة الذكر ، لأن المناقنين يذكرون الله قليلاً ، قال تعالى :

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة النساء : ١٤٢]

الذِّكْرُ أَمْرٌ إِلَهِيٌّ وَاسِعٌ الشَّمُولُ مَمْتَدٌ الْآمَالُ :

أيها الأخوة ؛ لا أعتقد أن هناك أمر إلهياً واسع الشمول ، ممتد الآمال ، متنوع الصفات كأمر الذكر ، الذكر يدور معك أينما اتجهت ، وأينما حللت ، وفي كل حال ، وفي كل وضع ، وفي كل موقف ، في الرضا ، في الغضب ، في الفقر ، في الغنى ، في الإقامة ، في السفر ، في الاختلاء في النعمة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

ابن آدم إنك إن ذكرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني ، لعل من أروع ما قاله المفسرون في قوله تعالى :

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾

[سورة آل عمران : ١٠٢]

أن تذكره فلا تنساه ، و أن تشكره فلا تكفره ، و أن تطيعه فلا تعصيه .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

قلت قبل قليل : ما من أمر متنوع كأمر الذكر ، إنك إن ذكرت أمره وأطعته هذا نوع من الذكر ، ومن أوسع معاني الذكر الطائع لله عز وجل ، ذكر أمره فأطاعه ، إذاً هو ذاك ، الله عز وجل يقول :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[سورة البقرة : ١٥٢]

اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي .

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت : ٤٥]

من أروع ما قاله المفسرون : إنك في الصلاة تذكر الله لكن ذكر الله لك أكبر من ذكرك له ، تذكره كي تأنس بقربه ، لكنه إذا ذكرك منحك الأمن ، منحك الرضا ، منحك السكينة، منحك التوفيق ، منحك الحفظ ، منحك الرعاية .

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت : ٤٥]

ذكر الله لك أكبر من ذكرك له .

السعادة البشرية تكمن بذكر الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ؛ ينبغي إذا قرأنا القرآن الكريم أن نفهم معاني الآيات بدقة بالغة، الله عز وجل يقول :

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : الآية ٢٨]

لو أن الله عز وجل قال : تطمئن القلوب بذكر الله ، ليس بهذه الصياغة حصر ولا قصر لكن حينما قال :

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد : الآية ٢٨]

أي أن هذه النفس البشرية لا يمكن أن تسكن ، ولا يمكن أن تطمئن ، ولا يمكن أن تسعد إلا بذكر الله ، حصراً من هنا ، ويقول الله عز وجل :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه : ١٢٤]

ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، الشيء الذي يقلق الإنسان هو ما يصيبه من همّ وحزن ، الإنسان إذا اتجه إلى الله عز وجل ألقى في قلبه السكينة ، ألا ترون إلى الحديث الشريف :

((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

القرآن الكريم تذكرة للمتقين :

يا أيها الأخوة ؛ الأمر بالذكر يتوجه إلى كثرته وقد برئ من النفاق من أكثر من ذكر الله . أيها الأخوة ؛ إنك إن استغفرتَه فقد ذكرتَه ، إنك إن سبحتَه فقد ذكرتَه ، إنك إن تلوَت كتابَه فقد ذكرتَه ، إنك إن صليت فقد ذكرتَه ، أقم الصلاة لذكركي ، إنك إن أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فقد ذكرتَه ، إنك إذا طلبت أحكام الشريعة كي تطبقها فقد ذكرتَه ، إنك إن تفكرت في خلق السموات والأرض فقد ذكرتَه ، أي نشاط يقربك إلى الله فهو من الذكر، وأي نشاط يبعدك عن الله عز وجل فهو من الغفلة ، ألا ترون أيها الأخوة أن كلمة ذكر تعني أن هناك معرفة سابقة ، هذا

هو الإيمان الفطري ، لقد جعل الله هذا القرآن تذكرةً للمتقين ، لأن الإيمان مركز في أصل الفطرة .

الإنسان ملك الله ملكية مطلقة فلا ينبغي أن يطع غيره :

يا أيها الأخوة ؛ يقول الله عز وجل :

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[سورة البقرة : ١٥٦]

﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ *

[سورة البقرة : ١٥٥-١٥٦]

نحن ملك الله عز وجل ، نحن ملك الله ملكية مطلقة ، والملكية المطلقة أن الله عز وجل يملكنا خلقاً ، وتصرفاً ، ومصيراً ، لا ينبغي أن نطيع غيره ، ولا ينبغي ألا نشكره ، وينبغي أن نرضى بقضائه وقدره :

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة : ١٥٦-١٥٧]

إذا ينبغي أن تذكره عند المصيبة ، ينبغي أن تعلم علم اليقين أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، هذا هو التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، يجب أن تذكره عند المصيبة ، أن هذه المصيبة كانت بقضاء من الله وقدر ، وأن هذه المصيبة سمح الله بها ، ولأنه سمح بها فيها خير مطلق ، وفيها حكمة مطلقة قد لا أكشفها الآن ولكن إذا صبرت كشف الله لي حكمتها ، فكنتم راضياً عن الله عز وجل .

أيها الأخوة ؛ والإنسان قد يغفل عن الله عز وجل يقول الله له :

﴿وَإِذْ نَسِيتَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾

[سورة الكهف : ٢٤]

يا رسول الله نكون معك ونحن والجنة كهاتين ، فإذا عافسنا أهل ننسى ، هذا قاله سيدنا حنظلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا أخي نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا ، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة ، ولو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة ، واذكر ربك إذا نسيت ، لو أن الإنسان غفل لوقت قليل عن الله عز وجل ينبغي أن يذكره .

بطولة الإنسان أن يكون فاعلاً في المجتمع لا منفعلاً :

أيها الأخوة : يقول الله عز وجل في الحديث عن المؤمنين :

﴿رَجَالٌ﴾

[سورة النور : ٣٧]

وكلمة رجل في القرآن لا تعني أنه ذكر تعني أنه بطل .

﴿رَجَالٌ لَّا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة النور : ٣٧]

يتاجرون ويبيعون ويكسبون مالاً حلالاً لينفقوه على أنفسهم ، وعلى أهلهم، وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة ، لكن هذه التجارة وهذا البيع لا يشغلهم عن ذكر الله، ليست البطولة أن تقبع في قمة جبل تتعبد الله عز وجل ، ولكن البطولة أن تكون إنساناً كما وصف النبي نفسه : أنا أشدكم لله خشية ، وأتقاكم ، أنام وأقوم ، أصوم وأفطر ، أتزوج النساء ، هذه سنتي فمن رغب عنها فليس من أمتي .

البطولة أن تكون فاعلاً في المجتمع لا منفعلاً ، الأنبياء كانوا يمشون في الطرقات ليتعرفوا إلى مشكلات الناس ، كانوا في برج عاجي أخلاقي ولم يكونوا في برج عاجي فكري ، كانوا مع الناس ولكن نأوا بأخلاقهم عن أن يسقطوا كما سقط الناس .

أيها الأخوة ؛ اليد العليا خير من اليد السفلى ، والمؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وأنت إذا تفوقت في الدنيا ، ووظفت هذا التفوق في الدعوة إلى الله ، وفي خدمة هذا الدين ، لك عند الله مرتبة عليية ، لا تكن متفوقاً ، لا تتسحب من الحياة .

﴿رَجَالٌ لَّا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

[سورة النور : ٣٧]

أيها الأخوة الكرام ؛ لك ساعة مع ربك تتاجيه بها ، لك ساعة مع ربك تتلو كتابه بها ، ولك ساعة مع الخلق تنفذ أوامر الله ، قال تعالى يحدثنا عن صلاة الجمعة :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الجمعة : ١٠]

أن تذكره كثيراً في تعاملك مع الناس :

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾

[سورة مريم : ٣]

وأنت في عملك ، وأنت في سفرك ، وأنت في بيعك ، وأنت في شرائك ، وأنت مع أهلك ، كن مع الله بالدعاء ، كن مع الله بالاستغفار ، كن مع الله بالأمر بالمعروف ، كن مع الله بالتفكير بآيات الله الدالة على عظمته .

الخاسر من أخذته الحياة و صرفته عن الآخرة :

ثم إن الله سبحانه وتعالى ينهانا أشدّ النهي فيقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة المنافقون : ٩]

هذا الذي تأخذه الحياة ، هذا الذي يمتص العمل كل وقته ، هذا الذي لا يجد وقتاً ليفكر ، لماذا خلق ؟ وماذا ينبغي أن يعمل ؟ وماذا بعد الموت ؟ هذا إنسان أخذته الحياة ، لذلك قال تعالى :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان : ٦٣]

ليس معنى أن يمشوا هوناً متباطئين ، كان عليه الصلاة والسلام إذا سار كأنه ينحط من صيب ، وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : " رحم الله عمر ما رأيت أزهده منه ، كان إذا سار أسرع " ولكن يمشون على الأرض هوناً لا يسمحون للدنيا أن تصرفهم عن ذكر الله ، لا يسمحون لأعمالهم أن تمتص كل وقتهم ، لا يسمحون لقضية طارئة أن تصرفهم عن الآخرة ، يخططون ، يتأملون ، يجلسون ساعات مع ربهم يتأملون سرّ وجودهم ، وغاية وجودهم ، يحضرون مجالس العلم ، يطلبون العلم ، هذا الذي أحبّ دنياه أضرّ بآخريته ، هذا الذي سمح لعمله أن يمتص كل وقته وقع في خسارة كبيرة ، نسي سرّ وجوده وغاية وجوده .

أيها الأخوة :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة الجمعة : ١٠]

كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل المسجد يقول : " اللهم افتح لي أبواب رحمتك " يا ربي اسمح لي أن أتصل بك في بيتك ، اسمح لي أن أخشع في صلاتي ، اسمح لي أن أفهم كتابك الكريم ، تقبل طاعتي يا رب ، كان إذا دخل المسجد يدعو ويقول : " اللهم افتح لي أبواب رحمتك " فإذا خرج من المسجد كان يقول : " اللهم افتح لي أبواب فضلك " .

اللهم أعني على أن أطيعك في التعامل مع الناس ، أن أكون صادقاً ، أن أكون أميناً ، أن أكون عفيفاً ، أن أقيم أمرك في عملي ، وفي بيتي ، ومع أهلي ، ومع أولادي ، تماماً كالموظف الذي يأتي إلى مركز الشركة ليتلقى التعليمات ثم ينطلق لينفذ هذه التعليمات ، الإنسان في المسجد يتلقى من الله التعليمات ، إما من قراءة القرآن الكريم ، أو من سماع حديث رسول الله ، فإذا انطلق إلى بيته ، أو إلى عمله ، أو إلى شؤونه الخاصة ، ينبغي أن يطبق ما سمع ، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام : " افتح لي أبواب فضلك " .

من ذكر الله فقد أطاعه :

ويقول الله عز وجل :

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾

[سورة آل عمران : ٤١]

قلت لكم : برئ من النفاق من أكثر من ذكر الله ، وبرئ من الشح من أدى زكاة ماله ، وبرئ من الكبر من حمل حاجته بيده .

الإنسان أيها الأخوة إما أن يكون واقفاً ، وإما أن يكون مضطجعاً ، وإما أن يكون قائماً ، الله عز وجل يقول :

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

[سورة آل عمران : ١٩١]

أي في الأحوال كلها إن رأيت شيئاً مدهشاً تقول : سبحان الله ! إن رأيت قضاء الله وقدره قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إن رأيت نفسك متوانيةً عن الإقبال عليه قل : أستغفر الله ، هناك من يقول : اللهم اغفر لي زلتي ، واستر عورتني ، وأقل عثرتني ، وأمن عورتني ، الدعاء ذكر ، الاستغفار ذكر ، التسبيح ذكر ، الحمد ذكر ، التكبير ذكر ، الأمر بالمعروف ذكر ، تلاوة القرآن الكريم ذكر ، أداء الصلاة ذكر ، حضور مجلس علم ذكر ، البحث في حكم شرعي ذكر ، تعلم أي شيء على الإطلاق يقربك من الله فهو من الذكر ، وأي شيء يبعدك عن الله فهو من الغفلة ، لذلك حتى إذا أطعت الله عز وجل ولم تتطق بكلمة ذكرت أمره فأطعته ، فالله يذكرك برحمته ، يا عبدي ذكرتني فأطعنتني ، وسأذكرك برحمتي .

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾

﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾

[سورة طه : ١٣٠]

أحدهم يطوف حول الكعبة يقول : يا رب هل أنت راض عني ؟ كان وراءه أحد الأئمة الكبار قال : يا هذا هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال : يا سبحان الله ! كيف أَرْضَى عنه وأنا أتمنى رضاه ؟ قال : إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله ، العبرة أن يرضى الله عنك ، والعبرة أن ترضى عنه ، أي أن تصبر على طاعته ، وأن تصبر عن معصيته ، وأن ترضى بقضاء الله وقدره ، هذا مقام لا بد منه .

أيها الأخوة : من ذكر الله فلم يشعر بشيء ، من صلى فلم يشعر بشيء ، من قرأ القرآن الكريم فلم يشعر بشيء ، فليعلم علم اليقين أن هناك خللاً خطيراً في إيمانه ، لأن الذين آمنوا إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، المؤمنون تفيض أعينهم من الدمع حينما يذكرون الله عز وجل :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ﴾

﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

[سورة المائدة : ٨٣]

كيف ينبغي أن تذكره ؟ يقول الله عز وجل :

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾

[سورة الأعراف : ٢٠٥]

هناك ذكر خفي لك أن تذكره دون أن تحرك شفثيك :

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾

[سورة مريم : ٣]

هو يسمعك :

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾

[سورة الأعراف : ٢٠٥]

ينبغي أن تتذلل له لأنك إذا تذلت له فإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت . اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت :

﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَالرِّسُولُ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة المنافقون : ٨]

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾

[سورة الأعراف : ٢٠٥]

ينبغي أن يستقر في قلبك محبة الله ، والخوف منه ، وتعظيمه ، وتعظمه وتحبه وتخافه ، إذا ذكرت عقابه ينبغي أن تخاف ، وإذا ذكرت نعمه ينبغي أن تحب ، وإذا ذكرت آياته ينبغي أن تعظم .

﴿إِنَّهُ كَانَ لَنَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الحاقة : ٣٣]

آمن بالله ولكنه لم يؤمن بالله العظيم ، لم يعظم أمر الله عز وجل ، ولم يعظم شعائر الله عز وجل .

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ

الْغَافِلِينَ﴾

[سورة الأعراف : ٢٠٥]

أيها الأخوة ؛ دون أن تسمع أحداً تروي بعض القصص أن الإمام الجليل الحسن البصري قام بأمانة العلم ، فبين وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، فغضب الحجاج وقال لمن حوله : يا جبناء ! والله لأروينكم من دمه ، وأمر بقتله ، وجيء بالسياف ، ومدّ السمط ، ودخل الحسن البصري على الحجاج ، رأى كل شيء قد انتهى ، لا بد من أن يقتل ، حرك شفثيه ولم يستمع أحد منهم ممن حوله إلى ما قال ، فإذا بالحجاج يقوم له ويستقبله ، وما يزال يقربه حتى يضعه على سريره ، ثم يستفتيه ، ثم يقول له : يا أبا سعيد أنت أفضل العلماء ثم يشيعه ، الذي لا يصدق ما

يرى السيف الذي جيء به ليقتله تبعه هو والحاجب قال : السيف يا أبا سعيد لقد جيء بك لغير ما فعل بك فماذا قلت بربك وأنت داخل ؟ قال : قلت : يا ملاذي عند كربتي ، يا مؤنسي بوحشتي، اجعل نعمته عليّ برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم . هو معك في كل شؤون حياتك ، هل من مصيبة بربكم تفوق أن تجد نفسك فجأة في بطن حوت أزرق في ظلمة البحر ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة بطن الحوت ، ماذا فعل سيدنا يونس ؟

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ﴾

[سورة الأنبياء : ٨٧-٨٨]

انتهت القصة وجاء القانون :

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء : ٨٨]

أية مصيبة تعاني منها هل تبلغ أن تجد نفسك في بطن حوت ؟

من ذكر الله فهو في بحبوة من عقابه :

أيها الأخوة الكرام :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٣٣]

والاستغفار من الذكر ، إنك إن ذكرت الله إن خفت ، إن ذكرت عقابه فخفت فاستغفرت ، إن ذكرت رحمته فرجوت ، إن قرأت كتابه فخشعت ، إن رأيت آياته الباهرة فسبحت ، إنك إن ذكرته فأنت في بحبوة من عقابه :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال : ٣٣]

هم في بحبوة طاعة رسول الله .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٣٣]

أيها الأخوة : يقول الله عز وجل :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

[سورة الفلق : ١-٢]

الاستعاذة ذكر ، الاستغفار ذكر ، التوبة ذكر ، الدعاء ذكر .

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

[سورة الفلق : ٢]

وما أكثر المخلوقات التي يستعاذ منها ، هذه قاعدة .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

[سورة الفلق : ١-٢]

إنسان مخيف ، حيوان مخيف ، مرض مخيف ، استعدذ بالله من شر ما خلق ، إنك إن كنت مع الله كان الله معك ، إن الله مع المؤمنين بالحفظ ، بالتأييد ، بالتوفيق ، بالنصر .

الذكر المستمر يجعل الإنسان في صلة دائمة مع الله :

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه بعض آيات الذكر ، الآيات كثيرة جداً :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾

[سورة الناس : ١]

الذي خلق البشر وأمدهم بما يحتاجون .

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾

[سورة الناس : ٢]

الذي ملكهم ملكية مطلقة خلقاً وتصرفاً ومصيراً .

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾

[سورة الناس : ٣]

المتصرف المسير الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾

[سورة الناس : ١-٣]

من أي شيء ؟

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

[سورة الناس : ٤]

أكبر جريمة تبدأ بخاطرة ، أكبر معصية تبدأ بخاطرة ، أكبر انحراف يبدأ بخاطرة ، أكبر هلاك يبدأ بخاطرة .

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

[سورة الناس : ٤]

لذلك كما قلت في الأسبوع الماضي : هذه الخاطرة إن لم تدفعها أصبحت فكرة ، فإن لم تعالجها أصبحت عزيمة ، فإن لم تتكرها أصبحت شهوة ، فإن لم تمنعها أصبحت فعلاً ، فإن لم تتب منه أصبح عادة ، فإذا انتقلت الخاطرة إلى عادة استحكمت في الإنسان ، وشعر بضعف شديد ، و بذلك يصعب عليه التوبة مما اعتاد .

أيها الأخوة الكرام ؛ إذا ركبت مركبتك ينبغي أن تذكر الله ، إن رأيت آية كونية ينبغي أن تكبر الله ، أن تسبحه في أطراف النهار .

يا أيها الأخوة الكرام ؛ كأن هذا الذكر المستمر من دعاء ، إلى استغفار ، إلى تسبيح ، إلى حمد ، إلى تكبير ، إلى استعاذة ، إلى تلاوة قرآن ، إلى صلاة ، إلى أمر بالمعروف ، كأن هذا يجعلك في صلة دائمة مع الله ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[سورة المعارج : ٢٣]

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حقائق ينبغي أن تكون واضحة عند كل مؤمن :

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك بضع حقائق ينبغي أن تكون واضحة جداً عند كل مؤمن ، الحقيقة الأولى أن الله جعلنا خلائف الأرض ، بهذه الآية معان عدة لكن من أبرز معانيها أن الله سبحانه وتعالى استخلفنا في الأرض لنقيم العدل ، استخلفنا لنقيم الإحسان ، استخلفنا كي نؤدي الأمانات إلى أهلها ، جعلنا خلائف الأرض .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾

[سورة الأنعام : ١٦٥]

الآن هناك سنة من سننه في خلقه ثابتة :

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾

[سورة الأنعام : ١٦٥]

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

[سورة الإسراء : ٢١]

لكن لا أحد ينتبه إلى كلمة بعضهم على بعض ، أي الإنسان في وقت واحد قد يكون مفضلاً في حقل ، ومفضولاً في حقل آخر ، هذا الذي بلغ قمة العلم في الطب ، في عيادته مفضل على كل من حوله ، كل من حوله مرضى جاؤوا يقتبسون من علمه ، أما إذا ذهب لإصلاح آلة ثمينة تتعكس الآية هذا في مكان إصلاح الآلة مفضل عليه ، ليس معنى ذلك أن الله فضل أناساً إطلاقاً ، ولم يفضل أناساً آخرين ، لا ، في كل مجال قد تكون أنت فضلاً في مجال ومفضولاً في مجال آخر ، من أجل ماذا ؟ من أجل الابتلاء ، الامتحان ، فأنت ممتحن مرتين ، ممتحن فيما أعطاك ، ممتحن فيما زوى عنك ، امتحان حقيقي إما أن تتجح وإما أن ترسب ، تمتحن بالمال ، و تمتحن

بقلة المال ، تمتحن بالوسامة ، وتمتحن بالدمامة ، تمتحن بالذكاء ، وتمتحن بالمحدودية ، تمتحن بالصحة ، وتمتحن بالمرض ، تمتحن بالزوجة ، وتمتحن بغياب الزوجة ، تمتحن بالإقامة ، وتمتحن في السفر . كل شيء يصيبك أو كل شيء يزوي عنك أنت ممتحن فيه .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا بَعْضُ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوكُمُ فِي مَا آتَاكُمْ﴾

[سورة الأنعام : ١٦٥]

المال نعمة ؟ لا ، نقمة ؟ لا ، حظ موقوف على نوع استخدامه ، فإما أن يكون المال سلماً ترقى به إلى أعلى عليين ، وإما أن يكون دركات تهوي به إلى أسفل سافلين ، طلاقة اللسان نعمة ؟ إن سخرتها لإشاعة الحق بين الناس فهي نعمة ، وإن سخرتها لإضلال الناس فهي نقمة ، الوسامة إن شكرت الله عليها ونظرت في المرأة فقلت : يا ربي كما حسنت خلقي فحسن خلقي ، وإن زهوت بهذه النعمة على الناس واصطدت قلوب من حولك من أجل أن تبتزهم فهي نقمة .
أيها الأخوة : من أدق الآيات :

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا بَعْضُ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوكُمُ فِي مَا آتَاكُمْ﴾

[سورة الأنعام : ١٦٥]

ثم يقول الله عز وجل :

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾

[سورة الأنعام : ١٦٥]

كيف هذه النعم التي منحك الله إياها إن لم توظفها في الحق ، ولخدمة الدين ، ووفق منهج الله ، جاءت العقوبات تترا ، وهذه النعم تسلب منك ، فلينتبه كل واحد ، هذه النعم التي من الله بها عليك يجب أن توظفها في طاعة الله ، ووفق منهج الله عز وجل .
أيها الأخوة ؛ إني داع فأمنوا :

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دُنياً التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردُّنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .
اللهم لا تؤمننا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تُسننا ذكرك يا رب العلمين . اللهم استر عورتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد سخيّاً رخيّاً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من
عُضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء مولانا رب العالمين .
اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعزّ المسلمين ، وخذ بيد
ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين